تدمير وحرق المدن في بلاد الرافدين (٢٨٠٠ – ٥٣٩ق.م)

م.د. جاسم شهد وهد الجبوري – كلّية الآثار – جامعة القادسيّة

Jasim.wahad@qu.edu.iq

تاريخ الطلب: ٢٠٢٣/٣/١٤

تاريخ القبول: ٢٠٢٣/٤/١٣

الخلاصة:

نشأت في بلاد الرافدين العديد من الحضارات منها الحضارة السومرية والحضارة الاكدية والحضارة البابلية والحضارة الاشورية وغيرها من الحضارات الأخرى وكان من أهم سمات تلك الحضارات هو الابداع والتفوق في مجال البناء والعمران بمختلف اشكاله وأنواعه مثل بناء القصور والمعابد والبيوت والمخازن والاسوار والحصون حتى وصل الحال الى بناء مدن كاملة تتوفر فيها جميع مستلزمات الإدارة والسكن والعبادة والاحتفالات، ومن أشهر المدن التي بناها وشيدها سكان بلاد الرافدين هي مدن "الوركاء" و"أور" و "لجش" و "نفر" و "كيش" و"بابل" و"آشور" و "ونينوى" و"كالح" وغيرها الكثير من المدن الأخرى المنتشرة على طول خارطة بلاد الرافدين. لكن تلك المدن تعرضت منذ لحظة انشأها وبنائها الى التدمير والخراب والحرق بسبب الصراع على المصالح والرغبة الجامحة لدى بعض ملوك العراق القديم في السيطرة ومد النفوذ على حساب المدن والاقاليم المجاورة داخل او خارج بلاد الرافدين لذلك فقد عانت مدن بلاد الرافدين من حالة التدمير والخراب والحرق المستمر على طول تاريخها لكن سكانها كانوا يقاومون ويعملون على إعادة بنائها من جديد.

وقد تضمن هذا البحث ستة محاور تناولت تدمير وحرق المدن في بلاد الرافدين منذ عصر دويلات المدن السومرية (٢٨٠٠ – ٢٣٧٠ ق.م) وحتى نهاية عصر الدولة البابلية الحديثة (٦١٢ – ٥٣٩ ق.م).

الكلمات المفتاحية: الوركاء ، بابل، الملك سنحاريب، الطوفان ، نرام – سين، الملك حمورابي، كيش، إياناتم.

Abstract:

Many civilizations arose in Mesopotamia, including the Sumerian civilization, the Akkadian civilization, the Babylonian civilization, the Assyrian civilization, and other civilizations. One of the most important features of these civilizations was creativity and excellence in the field of construction and urbanization in various fields. Its forms and types, such as building palaces, temples, storehouses, walls, and fortresses, until the situation reached the point of building entire cities that provided all the requirements for administration, housing, worship, and celebrations. Among the most famous cities built and built by the people of Mesopotamia are the cities of " Uruk," "Ur," "Lagash" "Nefer." "Kish" "Babylon" "Assyria" "Nineveh" and "Kalah" many other cities scattered along the map of Mesopotamia. But those cities were exposed from the moment they were established and built to destruction, devastation and burning due to the conflict over interests and desire. Some of the kings of ancient Iraq were unruly in controlling and extending their influence at the expense of neighboring cities and regions inside or outside Mesopotamia. Therefore, the cities of Mesopotamia suffered from a state of continuous destruction, devastation, and burning throughout their history. But their residents were cooperating and working to rebuild them again. This research included six axes that dealt with the study of the destruction and burning of cities in Mesopotamia since the era of the Sumerian city-states (2800- 2370 BC) until the end of the New Babylonian Empire (612-539 BC)

Keywords: Uruk; Babylon; King Sennacherib; The Flood; Naram-Sen; King Hammurabi; Kish; Ianatum.

أولاً: تدمير وحرق المدن في عصر دويلات المدن السومرية(٢٨٠٠ ــ ٢٣٧١ ق.م)

كشــف المنقبون الألمان في مدينة الوركاء وهي من اكبر المدن الســومرية التي يرجع زمن تأســيســها الى الالف الخامس قبل الميلاد اذ يبلغ محيطها تســـعة كيلومترات وتقع هذه المدينة على بعد ٣٠ كم جنوب شـــرق مدينة السـماوة اذ عثر أولئك المنقبون على بناء غريب في تصـميمهٌ اطلقوا عليه اسـم " بناء الريمشـن" بسـبب كونه قد شيد بنوع من اللبن المعروف باسم "الريمشن" يرجع تاريخه الى العصـر الشـبيه بالكتابي (٣٥٠٠ – ٢٨٠٠ ق.م) وهو ذو شـــكل مســـتطيل قياس ابعاده (٢٠ x ١٨م) أحتوى بداخله على العديد من القطع الفخارية وكانت هنالك

الكثير من الممرات التي تفصـــل بين الحجر او الغرف الداخلية مع عدم وجود باب او مدخل له من الخارج ولكن ذلك البناء تعرض للتدمير والحرق الكبير ويعود السبب ربما لهجوم تعرضت له المدينة(١).

كما كان الطوفان من العوامل الطبيعية والجغرافية التي ســاهمت في تدمير العديد من المدن التي نشــأت في بلاد الرافدين خلال الالف الثالث قبل الميلاد حيث ورد في اثبات الملوك الســومرية ان الطوفان دمر خمســة مدن كبيرة هي "أريدو" التي تعتبر من اقدم امأكان الاســـتيطان في القســـم الجنوبي من بلاد الرافدين اذ يرجع تاريخ تأسيسها الى الالف الخامس قبل الميلاد وهي من المدن المقدسة وتعرف أطلالها اليوم باسم "تل أبو شهرين" الذي يبعد حوالي ٤٠ كم غرب مدينة الناصـــرية. اما المدينة الثانية فهي " باد– تبيرا" والتي كانت تحتوي على معابد عديدة لعبادة الآلهة "عشـــتار" و الاله "تموز" وتعرف بقاياها اليوم باســـم "تل المدينة" والذي يبعد حوالي ٣٢ كم جنوب غرب مدينة الشطرة في محافظة ذي قار(٢).

والمدينة الثالثة التي دمرها الطوفان بشكل كبير هي مدينة " لرك " التي أزدهرت في عصـر فجر السـلالات وتطورت حتى أصبحت من المدن المهمة في بلاد الرافدين وتعرف اطلالها اليوم باسم "تل الولاية" الى الجنوب من مركز ناحية الحسـينية في محافظة واسـط في حين كانت مدينة "سـبار" هي المدينة الرابعة التي ضـربها الطوفان وهي من المدن المهمة ذات المكانة الكبيرة في حضـارة بلاد الرافدين ومركزاً لعبادة الاله "شـمش" وتعرف أطلالها اليوم باسم تل أبو حبة" على بعد ٤٥ كم الى الجنوب الغربي من مدينة بغداد أما "شروباك" فهي المدينة الخامسة التي دمرها الطوفان وتبعد حوالي ٣٥ كم جنوب مدينة "نفر" وتقع على ضـــفة نهر الفرات اليمنى وتعرف بقاياها اليوم باسم " تل فاره" ضمن محافظة القادسية(٣).

وبعد نهاية الطوفان بمدة من الزمن أخذت دويلات المدن الســـومرية بالنمو والتطور والظهور من جديد في بلاد الرافدين خلال عصـر فجر السـلالات وكانت الصـفة الغالبة على ذلك العصـر هي حالة الصـراع والحرب بين تلك الدويلات حيث قام "مســـانيبدا" مؤســـس ســـلالة أور الأولى بالهجوم على مدينة " نفر" وتمكن من انتزاعها واحتلالها بالقوة من ســـلطة "اكا" حاكم مدينة كيش مما جعل مدينة "نفر" تتعرض الى التدمير والتخريب والحرق حتى أن معبد "تمآل" دمر بشكل كبير ولم يكتفي ملك اور بذلك بل انه شن هجوماً واسعاً على مدينة "كيش" نفسها اسفر عن تدمير اسوار المدينة ومبانيها ومعابدها كما تم حرق القصر الملكي فيها(٤).

وقد تعرضت مدينة أور في عصر سلالة اور الأولى الى التدمير والحرق ومما يدل على ذلك العثور على ابنية مشيدة من اللبن تقع على جانبي السلم الكبير حيث الاثار الواضحة للحرق والطبقة السميكة من الرماد ويبدُ ان ذلك حدث بسبب الحروب التي خاضتها مع دولة مدينة الوركاء، كما عثر في "تل العبيد" وهو احد التلول القريبة من مدينة اور اثناء التنقيبات الاثرية على بناء كبير وضخم شيده الملك "أنيبدأ" احد ملوك سلالة اور الأولى كمعبد للآلهة "نن – خرساك" وقد تعرض ذلك المعبد في وقت لاحق الى التدمير والحرق فتهدمت جدرانة وسقطت أعمدة واجهته ولم يسلم من التدمير سوى المصطبة ويشير ذلك الى هجوم كبير تعرض له المعبد تم خلاله تهديم الاعمدة والجدران فسقطت السقوف وهنالك احتمال كبير بأن "جلجامش" ملك الوركاء هو من دمر المعبد(٥).

وتمكن "جلجامش" ملك الوركاء بعد ذلك من احتلال مدينة "نفر" بعد حروب طويلة خاضها ضد سلالة أور الأولى نتج عنها تدمير "نفر" بشكل كبير كما تم تدمير معبد "تمآل" المقدس للمرة الثانية على التوالي(٦).

اما دولة مدينة "لجش" فقد برز فيها مجموعه من الملوك الأقوياء كان من ابرزهم الملك "إياناتم" الذي خاض العديد من الحروب الداخلية والخارجية اذ تمكن من أحتلال دولة مدينة "كيش" والتي ظهرت فيها اول سلالة حاكمة بعد الطوفان وكان من ابرز معالمها المعمارية هو قصرها الكبير والضخم فضلا عن وجود المعابد والزقورات ونتج من جراء ذلك الاحتلال هو تدمير القصر الملكي بشكل تام فضلاً عن تدمير المعابد وقد اتخذ "اياناتم" بعد ذلك الاحتلال لقب "ملك كيش" وهو لقب سياسي يدل على القوة وسعة الأراضي التي سيطرة عليها(٧).

كما تمكن "إياناتم" بعد ذلك من احتلال مدينة "توتوب" احدى المدن التابعة لدولة مدينة "أشنونا" والتي تقع شرق مدينة بغداد حالياً بحوالي (١٥ كم) كما انها تقع على الضفة يسرى لنهر ديالى حيث تم تهديم اسوار المدينة ومعابدها لاسيما معبد الاله "سين" الذي كان يضم بداخلة العديد من التماثيل التي أصابها التكسير والتدمير كما تم حرق المدينة والمعبد بعد الانسحاب منها ولم يقتصر الحال عن هذا الحد بل واصل "إياناتم" حملته العسكرية الى مدينة "ماري" والتي تقع على بعد (١٢ كم) شمال قرية البوكمال عند الحدود العراقية السورية حالياً حيث تم احتلال المدينة ذات القصور الملكية الكبيرة والمعابد المخصصة لعبادة الالهه "عشتار" وقد اسفرت تلك الحملة عن تدمير المدينة وقصورها الكبيرة كما اصابها الحريق اذ سجلت اثاره بشكل واضح من خلال التنقيبات الاثرية التي جرت في تلك المدينة(٨).

ان حالة الصراع والحرب الطويلة بين دولة مدينة "لجش" وجارتها دولة مدينة "أوما" اسفرت عن تدمير العديد من المدن في جنوب بلاد الرافدين، حتى تمكن "لوكال – زاكيزي" حاكم دولة "أوما" من القيام بهجوم سريع ومباغت على دولة "لجش" اسفر عن تدمير المدينه واحراق قصورها ومعابدها الكبيرة حتى ان ذلك التدمير والحرق الذي تعرضت له دولة مدينة "لجش" ترك اثراً كبيراً في اذهان الكتاب السومريين اذ دوّن احدهم مرثية يندب فيها ما حصل لمدينة "لجش" وقصورها ومعابدها من التدمير والخراب حيث جاء فيها :

"أشعل حاكم أوما النار في معبد ايكور، اشعل النار في القصر، لقد دمر آجر المدينة، الاله " ننگرسو سوف يقوم بقطع الايدي الاثمة التي تجاوزت على معبده ...."[٩].

ثانياً: تدمير وحرق المدن في العصر الاكدي (٢٣٧١ - ٢١٦٠ ق.م)

نجح "سرجون" الاكدي (٢٣٧١ – ٢٣١٦ ق.م) في تأسيس دولته في وسط بلاد الرافدين وبنى مدينة "أكد" لتكون عاصمة الدولة الجديدة ثم وجه نظره بعد ذلك نحو "لوكال – زاكيزي" حاكم دولة مدينة الوركاء الذي تمكن من تدمير واحتلال اغلب دويلات المدن السومرية ويعتقد بأنه قد دارت حروباً كثيرة بين الطرفين حتى استطاع "سرجون" الاكدي من القيام بهجوم كبير مباغت على دولة مدينة الوركاء اسفر ذلك عن تهديم اسوارها الحصينة وتدميرها حتى ان قصرها الكبير ذو الواجهات العالية الارتفاع قد سوي بالأرض فضلاً عن وقوع "لوكال – زاكيزي" اسيراً بيد ملك آكد.[١٠].

بعد ذلك توجه "سرجون" الاكدي نحو مدينة "أور" والتي حاصرها من جهاتها الاربعه حيث دك اسوارها وهدمها ثم توغل في داخل المدينة وهدم القصر الملكي فيها والمعابد الرئيسية، وبعد ان تم له الامر قرر التوجه والاستمرار في حملته العسكرية نحو دولة مدينة "لجش" التي ساندت ودعمت دولة مدينة " أور" في الدفاع والتصدي للملك "سرجون" فعمل في سكانها السيف والقتل ودمر اغلب ابنيتها الشامخة وقصرها الخاص بالحكم وحرق أكبر معابدها المخصص لعبادة الاله "ننجرسو" كما سيطر بعد ذلك على دولة مدينة "اوما" بعد ان خاضت حرباً قويةً اسفرت عن تدمير المدينة وهدم اسوارها[١١].

وبعد وفاة الملك "سرجون " الاكدي خلفه في حكم الدولة الاكدية ابنه "ريموش" (٢٣١٥ – ٢٣٠٧ ق.م) اذ أعلنت اغلب مدن بلاد سومر الثورة من اجل الاستقلال والتحرر وكانت مدينة "اور" هي من قادت حركة الاستقلال

والثورة ضـــد الملك الجديد مما جعلها عرضـــةً للتدمير والحرق والنهب والســـلب وقد ورد في احدى المراثي كيف اصبح حال مدينة آور:

"لقد هلكت أرضك، يامدينة الاسوار العالية

يا اور المشيدة بألأجر التي دمرت"(١٢).

ولم يكتفي الملك الاكدي "ريموش" بتدمير المدن الثائرة ضـدهُ في بلاد الرافدين فقط وأنما امتدت حملاته العسـكرية نحو بلاد عيلام ومدنها التي ثارت ضـد السـلطة الاكدية أذ تمكن من تدمير مدن "مرخشـي" و "أون" وهما من أهم المدن التي تحالفت ضد الملك الاكدي(١٣).

اما في عهد الملك الاكدي "مانشتوسو"(٢٣٠٦ – ٢٢٩٢ ق.م) فقد أعلنت مدينة "كيش" الثورة على السلطة الاكدية الامر الذي جعل الملك الاكدي يقود حملة عســكرية كبيرة اســفرت عن احتلال المدينة كما اصـــابها الكثير من التدمير لاسيما المعبد الرئيسـي المخصـص لعبادة الالهة "أنانا"، ومن آجل ضـمان ولاء مدينة "كيش" وسكانها قام الملك "مانشـتوسـو" بالسـيطرة على مسـاحات كبيرة من الأراضـي الزراعية الخصـبة في مدينة "كيش" ومحيطها ثم وزعها على سبعه وثمانون مراقباً و موظفاً اكديةً كلفهم بأدارة شؤون مدينة "كيش"(١٤).

بعد ذلك تولى "نرام – سين"(٢٢٩١ – ٢٢٥٥ ق.م) العرش خلفاً لوالده فأعلنت مدن بلاد سومر التمرد والثورة ضـد الدولة الاكدية وملكها الجديد وهي مدن"كيش" و"الوركاء" و"نفر" و"سـبار"، فقام الملك "نرام – سـين" بالهجوم على مدينة "كيش" اذ تم تدميرها بشكل كبير ثم توجه نحو مدينة "سبار" وقد أصـابها شـيء من التدمير خصـوصـاً في المعبد الكبير المخصص للاله "شمش" وبعد مرور سنة من الهدوء توجه جنوباً نحو مدينة "نفر" التي استسلمت دون قتال ثم الى مدينة "الوركاء" التي دارت فيها معركة قوية بين الطرفين نتج عنها تدمير المدينة بشكل كبير(١٥).

وعلى الرغم من التدمير الكبير الذي تعرضـــت له مدينة الوركاء إلا انها اســـتطاعت النهوض من جديد نتيجة تكاتف وتعاون سكانها فيما بينهم حتى سنحت لها الفرصه مرة أخرى عندما تولى إدارة الدولة الاكدية "شار– كالي – شـــاري" (٢٢٥٤ – ٢٢٣٠ ق.م) فتزعمت الوركاء حلفاً ضـــم بعض المدن الســـومرية في الجنوب لتعلن الثورة والتمرد من اجل الاسـتقلال عن السـلطة الاكدية إلا ان الملك الاكدي " شـار– كالي– شـاري" تمكن من قمع تلك الثورة وتدمير وحرق مدينة الوركاء(١٦).

وقد تعرضت بعد ذلك بلاد الرافدين في السنوات الأخيرة من حكم الملك الاكدي "شار– كالي– شاري" الى تهديد كبير من قبل الكوتيون الذين كانوا يستوطنون الجهات الشمالية الشرقية من بلاد ايران حيث تمكنوا في النهاية من القيام بهجوم كبير وسريع اسفر عن سقوط الدولة الاكدية وتدمير العديد من المدن السومرية المهمة في بلاد الرافدين فضلا عن العاصمة اكد التي أصابها الخراب والدمار والحرق حيث ورد في احد النصوص:

" مدينة اكد ضربت بالسلاح وهدمت معابدها، وجه الاله" أنليل "سكان الجبال وبعثهم في اعداد كبيرة، كانوا مثل الجراد، مات سكان مدينة اكد بسبب القتل والجوع والدمار "[١٧].

ثالثاً: تدمير وحرق المدن في عصر سلالة اور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م)

قام الملك "اور– نمو" (٢١١٢–٢٠٩٥ ق.م) بتأسيس سلالة اور الثالثة (٢١١٢– ٢٠٠٤ق.م) والتي يمثل عصرها واحداً من أروع العصور في تاريخ بلاد الرافدين اذ حقق ملوك هذه السلالة خلال قرناً من الزمن الازدهار والسلم والابداع في الجوانب الأدبية والفنية والعمرانية والاقتصادية مع استعمال سياسة المصالحة والتوافق مع سكان المدن من الاكديين وبلغ عدد الملوك السومريين الذين حكموا في تلك السلالة هم خمسة ملوك[١٨].

في عهد "ابي–سين"(٢٠٢٨–٢٠٠٤ ق.م) اخر ملوك تلك السلالة نقضت بلاد عيلام الاتفاق والحلف المبرم مع الملك الجديد واخذت تشن الهجمات المتكررة على بلاد الرافدين مستغلةً ضعف الجبهة الداخلية لسلالة اور الثالثة بسبب الازمة الاقتصادية، حتى تمكنوا أي العيلامين من القيام بهجوم كبير على مدينة اور نتج عنه تدمير اسوار المدينة وحرق قصرها الملكي الكبير كما وقع الملك السومري "ابي – سين" في الاسر فضلا عن تدمير المدن السومرية الأخرى التي تصدت لهم مثل مدينة "كيش" ومدينة "نفر"[١٩].

وقد ورد في أحد النصوص المدونة حال مدينة اور حيث جاء فيه:

"اور في داخلها موت وفي خارجها موت .... في داخلها نموت من الجوع

وفي خارجها نقتل بأسلحة العيلاميين .... لقد فكوا مزاليج بواباتها .... واكتسحوها وكأنهم أمواج عاتية متدفقة .... فتحطمت اور بفعل السلاح مثلما يتحطم اناء من الفخار . . ."[٢٠].

رابعاً: تدمير وحرق المدن في عصر الدولة البابلية القديمة (٢٠٠٤ - ١٥٩٤ ق.م)

تمكن الأموريون في هذا العصر من انتزاع السلطة والحكم في بلاد الرافدين من خلال توغل وانتشار القبائل الامورية المهاجرة في اغلب مناطق البلاد ومن ثم نجحوا في إقامة دويلات مدن لهم كانت متعاصرة ومتحاربة فيما بينها توارث الحكم فيها مجموعة من الشخصيات القوية التي كانت تطمح دائماً الى مد نفوذها على حساب مصالح وحدود واراضي دويلات المدن المجاورة الأخرى(٢١).

ومن تلك الشخصيات هو "كَنكَونم"(١٩٣٢ – ١٩٠٦ق.م) ملك دولة مدينة لارسا والذي تمكن من احتلال وتدمير دولة "ماليكَيوم" والتي تقع على نهر دجلة جنوب مصب نهر ديالى حيث هدمت أسوار المدينة الحصينة وخربت المباني الرئيسية كما تم حرق قصر الحكم فيها فضلاً عن ذلك استطاع الملك الاخر لدولة مدينة لأرسا "ريم – سين"(١٨٢٢– ١٧٦٣ ق.م) من السيطرة واحتلال دولة مدينة "أيسن" بعد ان نجح في تدمير اسوارها كما أصاب الخراب والتدمير المنطقة الدينية فيها فضلاً عن قصرها الكبير(٢٢).

بعد ذلك اصابت حالة من الضعف دولة مدينة لأرسا تعرضت على اثرها الى هجوم كبير قام به ملك بابل "حمورابي" (١٧٩٢–١٧٥٢) حيث نجح في تدمير اسوار المدينة والسيطرة على القصر الملكي ثم حرقة، وبعد مضي اربع سنوات على تلك الحادثة قام "حمورابي" بالهجوم على دولة مدينة "ماري" والتي تقع على نهر الفرات في قرية البو كمال عند الحدود العراقية – السورية حالياً حيث اسفر ذلك الهجوم عن محاصرة المدينة ودك اسوارها المنيعة ثم بعد ذلك نجح الجيش البالبلي في احتلال المدينة واسر ملكها فضلاً عن تدمير وحرق قصرها الملكي(٢٣).

وبعد تولي "سمسو – ايلونا"(١٧٤٩ – ١٧١٢ ق.م)عرش الدولة في بابل خلفاً لوالده " حمورابي" تمكن من تدمير مدن "اور" و"الوركاء" و"نفر" وذلك بسبب اعلان تأييدها ومساندتها لدولة مدينة لارسا وملكها الثائر الجديد ضد السلطة البابلية الا انه لم ينجح هو الاخر في مسعاه حيث دمرت مدينة لارسا وحرق قصرها الملكي للمرة الثانية(٢٤).

خامساً: تدمير وحرق المدن في العصر الاشوري الحديث (٩١١- ٦١٢ ق.م)

استطاعت الدولة الاشورية خلال هذا العصر ان تبلغ مركز الصدارة بين دول العالم القديم من حيث التطور والابداع في اغلب المجالات السياسية والاقتصادية والحضارية والعسكرية وكانت المشكلة الرئيسية التي واجهت الدولة الاشورية خلال هذا العصر هو مشكلة القبائل الاراميية التي نجحت في إقامة دويلات مدن لها في الأقسام

الغربية لبلاد الرافدين وبلاد الشـام والاقسـام الجنوبية من بلاد سـومر واكد حيث اسـتقرت قبيلة "كلدو" في تلك المناطق ذات الطبيعة الجغرافية الصـعبة والمعقدة الامر الذي جعل الدولة الاشـورية تواجه الاراميين خارج حدود بلاد الرافدين من جهة او داخل بلاد الرافدين من جهة اخرى[٢٥].

ومن أولى محاولات تدمير المدن في هذا العصـر هو ما قام به الملك "اشـور– ناصـر– بال الثاني" (٨٨٣– ٨٥٩ ق.م) من الهجوم على مدينة "زاموآ" والتي تقع حالياً في محافظة السـليمانية اذ تجمعت فيها الاقوام الجبلية المناهضـة والمعادية للدولة الاشـورية حيث تمكن الملك الاشـوري من تدمير المدينة والقضـاء على أعداد كبيرة من منهم وكذلك عندما اعلنت مدن "بابل" و "كيش" و"اور" التمرد والعصيان على السلطة الاشورية قاد الملك الاشوري حملة عسكرية كبيرة اسفرت عن تدمير تلك المدن وقمع المتمردين واعادة الأمور الى نصابها[٢٦].

كذلك قام الملك الاشوري "شيلمنصر الثالث" (٨٥٨ – ٨٢٤ ق.م) بمساعدة ملك بابل المدعو "مردوخ – زاكر – شـومي" احد ملوك سـلالة بابل الثامنة والذي طلب المسـاعدة من الاشـوريين من اجل التصـدي لأخوة المدعوم من قبل الاراميين حيث جرت الحرب بين الطرفين اذ أسـهمت في تدمير أجزاء كبيرة من اسوار مدينة بابل ومعبد الاله "مردوخ" فضلاً عن تدمير المدن الأخرى التابعة لبابل وهي مدن "كوثي" و"بارسيبا"[٢٧].

وعلى الرغم من تلك المسـاعدة التي قدمتها بلاد اشـور لبلاد بابل الا ان الأخيرة أعلنت التمرد على السـلطة الاشـورية فقام الملك "شـمش – ادد الخامس"(٨٢٣ – ٨١١ ق.م) بقيادة حملة عسكرية نحو بابل نتج عنها تدمير العديد من المباني الرئيسية داخل مدينة بابل فضلاً عن تهديم اسوارها[٢٨].

ولكن الملك الاشـوري " تجلاتبليزر الثالث" (٧٤٤ – ٧٢٧ ق.م) اسـتخدم سـياسـة مختلفة عما سـبقه من الملوك الاشـوريون حيث قام بأعاده اعمار مدن بلاد سـومر واكد حيث أعاد بناء مدن "سـبار" و"كيش" و"بابل" و"نفر" و"اور" و"الوركاء" وقدم القرابين لإلهة تلك المدن وعندما سـيطر شـخص يدعى "أوكين– زير" على بلاد بابل وهو أرامي يكن العداء للسلطة الاشورية مما جعل الملك الاشـوري يقوم بحملة عسكرية تمكن فيها من اللحاق الهزيمة بالزعيم الارامي الذي هرب الى مناطق الاهوار تاركاً مدينة بابل عرضةً للتدمير والحرق[٢٩].

وعندما تولى العرش الاشـوري الملك " سـرجون الثاني"(٧٢١ – ٧٠٥ ق.م) اتخذ قراراً بالقضـاء على بلاد بابل التي أصبحت شوكة في خاصرة الدولة الاشورية فحاصرها مدة عامين كاملين فأصاب أهلها الجوع والمرض

ودمرت اسوارها الحصينه العالية حتى تمكن اخيراً من دخولها وطرد ملكها "مردوخ – بلادان الثاني" (٧٢١ –٧١٠ ق.م) الذي فر هارباً الى حليفته بلاد عيلام[٣٠].

واستمر الحال نفسة في عهد "سنحاريب"(٧٠٤–٦٨١ ق.م) حيث كانت بلاد بابل ترفض النفوذ الاشوري بدعم من بلاد عيلام لذلك قاد الملك الاشوري "سنحاريب" حملة عسكرية كبيرة كان قد اعد لها مسبقاً حيث دارت بين الطرفين رحى معركة كبيرة أدت الى تدمير مدينة بابل بشكل لم يسبق له مثيل حيث ورد في احدى النصوص الاشورية ما نصه :

" هاجمتها كالإعصار، وكالعاصفة اطحت بها .... أما المدينة نفسها

وبيوتها وقصورها فقد حطمتها وخربتها .... وبالنيران دمرتها

من أساسها حتى سقوفها ....سلطت عليها المياه فحولتها الى مراع "[٣١].

وبهذا دمرت واحرقت مدينة بابل المدنية المقدسة التي تسكنها الالهة والتي تعتبر بمثابة العاصمة الثانية للدولة الاشورية في وسط بلاد الرافدين وقد نالت منذ تأسيسها وخلال تأريخها الكثير من الاحترام والتقديس من قبل ملوك بلاد الرافدين في مختلف العصور السابقة.

بعد ذلك تولى العرش الاشوري الملك "اسرحدون" (٦٨٠ – ٦٦٩ ق.م) فعمل على معالجة اغلب المشاكل التي كانت تعاني منها الدولة الاشورية حيث قام بأعاده اعمار وبناء مدينة بابل ومعابدها بعد ان دمرها والده الملك "سنحاريب" ويبد ان السبب وراء ذلك هو احترام الملك الجديد لقدسية هذه المدينة والهتها كما انه ارد كسب ود ورضا السكان في بابل واعترافهم الشرعي بحكمه ملكاً على بلاد الرافدين فضلاً عن جعل البابليين يرفضون المساعدة المقدمة من بلاد عيلام عدوة الدولة الاشورية[٣٢].

اما في عهد الملك "أشور– بانيبال" (٦٦٨–٦٢٧ ق.م) فقد اصبح اخوه "شمش –شم– اوكن" حاكماً وملكاً على بلاد بابل حيث استقرت الأمور السياسية وهدأت الجبهه الداخلية للدولة الاشورية مدة سبعة عشر عاماً ولكن حصل فيما بعد اتفاق بين الملك البابلي والاراميين وبلاد عيلام ومصر يهدف الى الانقلاب على الملك الاشوري "أشور –بانيبال" و الاستيلاء على عرش السلطة وعندما علم بذلك الملك الاشوري نشبت الحرب بين الاخوين كان

من نتائجها تدمير مدن "كيش" و"سبار" فضلاً عن مدينة بابل التي أصابها التدمير والخراب حتى انه قد احرقت معابدها اما الملك "شمش – شم – اوكن" فقد مات حرقاً داخل قصره في بابل(٣٣).

سادساً: تدمير وحرق المدن في عصر الدولة البابلية الحديث (٦١٢- ٥٣٩ ق.م)

تمكن "نابو بولاصر" (٦٢٦–٦٠٥ ق.م) وهو ارامي الأصل من قبيلة "كلدو" من تأسيس دولته التي عرفت باسم "سلالة بابل الحادية عشر" و"السلالة الكلدية" في الأقسام الجنوبية من بلاد الرافدين وتحديداً في منطقة الاهوار وقد حصلت بينه وبين الاشوريون حروب طاحنة كثيرة أسفرت عن تدمير العديد من مدن بلاد سومر منها قيامه بهجوم كبير على مدينة "نفر" في عام ٦٢٦ ق.م تمكن فيه من هزيمة الاشوريين لكن المدينة دمرت بشكل كبير(٣٤)

كما انه قاد هجوماً أخر على مدينة "الوركاء" تمكن فيه من اللحاق الهزيمة بالجيش الاشوري لكن المدينة قد أصابها التدمير والحرق وذلك بسبب شدة المعارك التي دارت بين الطرفين ، ولم يكتفي "نابو بولاصر" بذلك بل آنه قام بالهجوم على مدينة "آور" التي كانت توجد فيها الحاميات الاشورية وبعد معارك ضارية هزم الاشوريين لكن مدينة "آور" دمرت بشكل كبير حتى ان جزء كبير من بناية الزقوره قد أصابها الضرر ثم قام بعد ذلك بالهجوم على مدن "أيسن" و " لجش" ونجح في الاستيلاء عليهما بعد هدم أسوارهما وتدمير القصور الملكية فيهما(٣٥)

كذلك قام "نابو بولاصر" بقيادة قواته نحو مدينة "كيش" والتي كانت تتمركز فيها قوات اشورية كبيرة ولكن بالرغم من كثرتها فقد هزمت كما اسفر الهجوم عن تدمير المدينة حتى ان قصورها تعرضت الى التخريب والحرق ورغم ذلك واصل الجيش البابلي تقدمة ومسيرته على امتداد نهر الفرات مخلصاً المدن والقرى من القوات الاشورية ثم وصل الى مدينة بابل فحاصرها ورغم المقاومة تمكن من احتلالها وهزيمة الحاكم الاشوري فيها والذي تمكن من الهرب وقد عانت مدينة بابل بسبب تلك الحروب الضارية بين الاشوريين والبابليين حيث دمرت اسوارها وهدم قصرها الملكي الكبير كما احرق المعبد الرئيسي فيها والذي كان مخصص لعبادة الاله "مردوخ"(٣٦)

كانت مدينة "سبار" وحدة من اهم المدن التي تجمعت فيها القوات الاشورية المنسحبة من مدن الجنوب وبابل ولذلك فقد قرر الملك البابلي "نابو بولاصر" مهاجمتها بأقصى سرعه ممكنة حتى لا يتمكن الاشوريون من استعادة قوتهم وتجميع صفوفهم الامر الذي تحولت فيه هذه المدينة الى ساحة حرب كبيرة هدمت ودمرت على اثرها اغلب المباني والمعابد والمخازن الموجودة فيها حتى ان أسوارها قد ازيلت من الأساس ، وبعد مدة قصيرة واصل الجيش البابلي مسيرته نحو بلاد اشور في الطريق المحاذي لنهر دجلة حتى وصلوا الى مدينة أشور اذ تم محاصرتها مده

من الزمن ولكنها سقطت بعد ذلك بعد مقاومة شرسة ابداها الاشوريين اسفرت عن تدمير المدينة وقصورها الملكية الضخمة والكبيرة(٣٧)

أما مدينة "نينوى" والتي تعتبر العاصمة الإدارية للاشوريون فقد تم احتلالها من خلال محاصرتها اولاً ثم فتح بوابات السدة المقامة على نهر "الخوصر" الامر الذي سهل وعجل في ظهور فتحات وثغرات في السور الذي كان يحيط في المدينة وبالتالي تمكن الجيش البابلي وحلفائه من الميديين من أحتلال المدينة التي أصبحت مدمرة بشكل يرثى له من جراء الحرب كما انه تم اضرام النار في المباني والقصور التي لم يصبها فيضان المياه او الحرب(٣٨)

وقد ورد في احدى المدونات عن الملك البابلي "نابو بولاصر " ما نصة :

"ذبحت بلد السوبارتو "اشور" وحولت أراضهم الى آكوام

ورميم .... كما ان المعبد حول الى تل من الاطلال واكوام من الأنقاض .....(٣٩)

توفي الملك "نابو بولاصر" وخلفه في الحكم أبنه "نبوخذ نصر الثاني "(٦٠٤ – ٥٦٢ ق.م) والذي أستقرت في عهده أوضاع بلاد الرفدين الداخلية فعمل على إعادة أعمار مدينة بابل والتي أصبحت عاصمة الدولة الرئيسية بعد ان تعرضت سابقا الى التدمير والحرق نتيجة الحروب التي خاضها البابليون ضد الدولة الاشورية حيث تم بناء القصور الملكية فيها وإعادة بناء وترميم معبد "آي – ساگلا" الخاص بعبادة اله مدينة بابل الرئيسي وهو "مردوخ" وكذلك بناء بوابة عشتار وشارع الموكب وغيرها من الاعمال العمرانية الأخرى(٤٠)

اما في عهد الملك "نبونيدس" (٥٥٥ – ٥٣٩ق.م) فقد ساءت أحوال الدولة البابلية الحديثة لاسيما في السنوات الأخيرة من حكم هذا الملك حيث تدهورت الاوضاع السياسية والاقتصادية والدينية الامر الذي عجل في سقوطها بيد الملك الاخميني "كورش الثاني"(٥٥٩ – ٥٣٠ ق.م) ولم تتعرض العاصمة بابل الى التدمير جراء احتلالها هذه المره.(٤١)

الاستنتاجات

اولاً: كان العامل الطبيعي والجغرافي سبباً في تدمير وتخريب المدن في بلاد الرافدين مثلما حصل لدويلات المدن السومرية (٢٨٠٠-٢٣٧١ ق.م) عندما تعرضت الى الطوفان الكبير والذي نتج عن هطول الامطار وفيضانات

مياه الأنهار الامر الذي أدى الى غرق وتدمير المدن القريبة من ضـفاف تلك النهار بشـكل كامل كما هو الحال مع مدن "اريدو" و"لرك" وسبار" وغيرها من المدن السومرية الأخرى.

ثانياً: سـاهم تدخل الانسـان في إعادة توجيه العامل الطبيعي والجغرافي الى حصـول تدمير لبعض المدن في بلاد الرافدين مثل حجز المياه خلف السدود ثم فتحها بشكل سريع وليس تدريجياً كما حصل عندما قام الجيش الاشوري بقيادة الملك "سـنحاريب" من حجز المياه في نهر الفرات ثم فتحها نحو مدينة "بابل" التي قاومت الاشـوريين مما أدى الى تدميرها وكذلك حصـل نفس الشـيء عندما قام الجيش البابلي بقيادة "نابو بلاصـر" من حجز المياه خلف السدة المقامة على "نهر الخوصر" ثم فتحها على مدينة "نينوى" الامر الذي أدى الى تدميرها واحتلالها بسهولة .

ثالثاً: الطموح السياسي والرغبة في تحقيق المصـالح التي كان يتصـف بها بعض حكام وملوك بلاد الرافدين دفعهم ذلك الى التوسع ومد النفوذ على حساب أراضـي الدول المجاورة لهم مما أدى الى حدوث الحروب والتي كانت من نتائجها تدمير وحرق المدن كما هو الحال في صراع دويلات المدن السومرية مع بعضـها البعض، ودويلات المدن خلال العصر البابلي القديم.

رابعا: عدم احترام الاتفاقيات والمعاهدات الخاصـة بتعيين الحدود بين الدول في بلاد الرافدين بسبب امتلاك الجيش والشـعور بالقوة الامر الذي يؤدي الى حدوث ونشـوب الصـراعات والحروب بين تلك الدول مما يسـفر عن احداث حاله من التدمير والخراب الكبير في المدن كما هو الحال من الصراع بين دولة مدينة "اوما" ودولة مدينة "لجش".

خامسـاً: الاسـتيلاء على السـلطة عن طريق ألانقلاب والقوة العسـكرية أدى ذلك الى حدوث حروب طاحنة بين طرفي النزاع كانت المدن فيه عبارة عن سـاحة حرب تتعرض من خلاله الى التدمير والحرق والخراب مثل قيام الملك "سـرجون الاكدي" بتدمير اغلب المدن السـومرية وهي مدن "أور" و"الوركاء" ولجش" وغيرها من المدن الأخرى.

سـادسـاً: العامل القومي كان سـبباً مهماً من أسـباب تدمير وحرق المدن في بلاد الرافدين مثلما حصـل للسـكان السومريين في عصـر دويلات المدن السومرية عندما انتزعت السلطة منهم لصـالح الاكديين مما جعل السومريين يعلنون رفضـهم بين الحين والأخر لتلك السلطات من خلال التمرد والعصـيان وإعلان الثورة ضـد السلطة أدى هذا الامر الى ردت فعل قوية من قبل السـلطة الرسـمية والتي كانت من نتائجها إعادة احتلال تلك المدن وقمع المعارضين لها واللحاق اكبر قدر من التدمير والحرق لتلك المدن .

وتكرر الحال نفسة عندما استولى الاشوريين على السلطة في بلاد الرافدين كان سكان المدن في جنوب ووسط بلاد الرافدين من السومريين والاكديين والاراميين من الذين رفضوا الاعتراف بالسلطة الاشورية على مناطقهم مما عرض مدنهم الى حاله من التدمير الكبير والحرق نتيجة امتلاك السلطة الاشورية لمختلف أنواع الأسلحة والقوات العسكرية الكبيرة

سابعاً: ان حالة الصمود والدفاع والاستبسال التي يبديها سكان المدن المحاصرة التي تتعرض للهجوم تدفع المهاجمين عند احتلال تلك المدن الى التدمير والتخريب وحرق القصور الملكية وحتى المعابد انتقاماً من سكانها الذين ابدُ مقاومة عنيفة كما هو الحال مع مدينة "اور" التي احتلها العيلاميين، ومدينة "بابل" عندما احتلها الاشوريين في عهد الملك "سنحاريب"

ثامناً: يبدو ان الهدف الرئيسي من وراء تدمير وحرق المدن في بلاد الرافدين من قبل بعض الحكام والملوك هو وضع حد ونهاية لعمليه التمرد والعصيان وإعلان الثورة وطلب الاستقلال التي يقوم بها سكان المدن الثائرة اذ انهم يعتقدون أي الملوك والحكام ان اللحاق اكبر قدر من حالة التدمير والحرق والتخريب لهذه المدينة او تلك سوف تفقد سكان المدن فكرة اعلان التمرد والعصيان مرة ثانية وكذلك اشغال أولئك السكان بعد بث اليأس في نفوسهم بعمليه إعادة اعمار وبناء المدن المدمرة.

تاسعاً: كذلك من أسباب تدمير وحرق المدن هو تعرضها لهجوم خارجي من قبل اقوام اجنبية مثل الكوتيين الذين دمرو مدينة "أكد" والعيلاميين الذين دمرو مدينة "اور" والحيثيون والكاشيون الذين دمرو مدينة "بابل" والميتانيين الذين دمرو مدينة "نينوى" عندما ساعدوا البابليين في احتلالها.

عاشراً: هنالك بعض الاساطير التي كتبت في بلاد الرافدين تذكر بأن تدمير وتخريب المدن هو بامر الآلهة بسبب انتهاك حكام او ملوك الدول التي ظهرت في بلاد الرافدين لحرمة معابدها وتدنيسها وعدم تقديم القرابين لها كما هو الحال عندما أرسلت الإلهة الطوفان ليدمر دويلات المدن السومرية وكذلك الحال عندما أرسلت الالهة الكوتيين ليسقطوا الدولة الاكدية وملوكها الذين تجاوزوا على الالهة وغيرها من الأمثلة الأخرى على ذلك.

الهوامش والمصادر

(١) قحطان رشيد صالح، الكشاف الاثري في العراق،(بغداد،١٩٨٧)ص٢٤٧.

(٢) صموئيل نوح كريمر، السومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، ترجمة الدكتور فيصل الوائلي، (بيروت، 2012) ص٤٤٩.

(٣) طه باقر واخرون، تاريخ العراق القديم، ج١،(بغداد،١٩٨٧) ،ص١٢٤.

(4) Jack.M.S., Civilizations of the Ancient Near East , vol.1-2,(New-york,1995), p.395.

(5) Jacodson, Th., The Sumerians king List, vol.1,(Chicago,1939), p.87 .

(٦) طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمه، ج١،(بغداد، ٢٠٠٩)، ص٣٢٩.

(7) Woolley,L., The Sumerianis, (oxford, 1929) ,p.24.

(٨) صموئيل نوح كريمر، السومريون....، مصدر سابق، ص٧٤.

(٩) وول ديورانت، قصة الحضارة ، الشرق الأدنى، ترجمة محمد بدران ،ج٢،(القاهرة ،١٩٥٠)، ص١٨.

(١٠) فاضل عبد الواحد علي، "السومريون والاكديون "، في العراق في التاريخ، (بغداد ،١٩٨٣)،ص٧٥.

(١١) عامر سليمان الجيش والسلاح في العصر الاكدي..."الجيش والسلاح"، ج١، (بغداد ، ١٩٨٣) ١١٥

(١٢) شاه محمد علي صيواني، أور المدينة السومرية، الخالدة "في مجلة ما بين النهرين، السنة الثانية ، العدد٦، (الموصل، ١٩٧٤)، ص٦

(13) Bauman, H., The Land of Ur , (London , 1969), p.99

(١٤) فاضل عبد الواحد علي، "السومريون والاكديون ...، مصدر سابق،ص٩٢.

(15) Brinkman, J.A., Mesopotamian Chronology of the Historical period, (Chicago, 1977), p.335

(16) Gadd, C. J, "the Dynasty of Agade" in, CAH, vol.1, part2, (Cambridge ,1971),p.455

(١٧) عامر سليمان الجيش والسلاح في العصر الاكدي ...،مصدر سابق، ص١١٧.

(18) Jacodson, Th., The Sumerians king,....Op.Cit, p.123

(19) Woolley,L., The Sumerianis, ……,. Op.Cit, p.56

(20) Bauman, H., The Land of Ur ….., Op., Cit, pp.112-115

(٢١) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمه.....، ج١، مصدر سابق، ص٤٤١.

(22) Clay ,A., The Amorite Empire, (New Haven, 1919), p.35

(٢٣) سامي سعيد الأحمد، العراق القديم، ج٢،(بغداد ، ١٩٨٣)،ص٢٠٢

(٢٤) جين بوتيرو واخرون، الشرق الأدنى الحضارات المبكرة ،ترجمة د. عامر سليمان، (الموصل، ١٩٨٦) ،ص٢١١.

(٢٥) اكرم سليم الزيباري، الاشوريون – خططهم وسياساتهم الحربية، مجلة بين النهرين، العددان ٥١ –٥٢(الموصل ١٩٨٥)، ص١٣

(26) Jack.M.S., Civilizations of the Ancient....vol.2, Op.Cit, p.959.

(٢٧) اكرم سليم الزيباري، الاشوريون....،مصدر سابق، ص١٤

(28) Kubrt, A., The Ancient Near East 3000- 330B.C., vol.,2, (London ,1998), p.516

(٢٩) جورج رو، العراق القديم، ترجمة حسين علوان، (بغداد ،١٩٨٤)، ص٤١٤

(30) Luckenbil ,D., Ancient Record of Asryia and Babylonia, vol.1, (Chicago, 1929), p.275.

(31) bid, p.283

(٣٢) هاري ساكز، عظمة بابل ، ترجمة عامر سليمان ،(الموصل، ١٩٧٩)،ص١٥٥

(٣٣) اكرم سليم الزيباري، الاشوريون....،مصدر سابق، ص٢٦

(٣٤) هاري ساكز، قوة اشور، ترجمة عامر سليمان،(بغداد، ١٩٩٩) ، ص١٧١

(35) Kubrt, A., The Ancient Near.....,vol.2, Op.Cit, p.531.

(٣٦) هاري ساكز، قوة اشور....، مصدر سابق، ص١٧١

(٣٧) جورج رو، العراق القديم،..... مصدر سابق، ص

(38) Jack.M.S., Civilizations of the Ancient....vol.2, Op.Cit, p.969.

(٣٩) سامي سعيد الأحمد ، "الدولة الكلدانية زمن نابو بلاصر ونبوخذنصر" في مجلة المؤرخ العربي العدد ٢٩، (بغداد ، ١٩٨٦)، ص٣٨

(٤٠) هاري ساكز، عظمة بابل، ....، مصدر سابق، ص١٧٣.

(41) Wisemen, D.J., People of The Old testmant time,(Oxford, 1975),p.318